– اللهجة:–

لابد من الوقوف عند أصل الكلمة لمعرفة من أين جاء بها الاستعمال لتدل هذه الدلالة.

– لغـةً:– جاء في العين (اللهجة طرف اللسان، أو جرس الكلام ويقال فصيح اللهْجَة واللَهَجَة، وهي لغَتُه التي جُبِل عليها فاعتادهَا، ونَشَأَ عليها)( ).

إنّ مفهوم اللغويين القدامى للهجة يختلف عما تعارف عليه المحدثون فقد استعملوا كلمة (لغة) أو (لحن) للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث( ).

ولفروع اللهجة كالحجازية والتميمية ولهجة أهل الشام وأهل العراق نصل إلى نتيجة واحدة من حيث النظر إلى أنّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وقد ذكر بعض المحدثين أنه:(لا يفرق علم اللغة بين لهجة (**dislect**) ولغة (**literart langage**) كل لهجة هي لغة قائمة بذاتها بنظامها الصوتي وبنحوها وبتراكيبها وبمقدرتها على التعبير)( ).

– اصطـلاحاً:– هي مجموعة من الخصائص اللغوية تنتمي إلى بيئة معينة ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة التي تعُد جزءاً من بيئة أكبر تضمُّ عدة لهجات وتتميز عن بعضها بظواهرها اللغوية، غير أنّها تتفق فيما بينها بظواهر أخرى تسهل إتصال أفراد تلك البيئات بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من حديث( ).

وعرّفت بأنها:((أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها، ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في جرس الألفاظ وصوت الكلمات وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية أدائها)) ( ).

لذا فتكمن أهمية دراسة هذا الجانب، من معرفة المراحل التي مرت بها اللفظة، وما طرأ عليها من تطور من خلال تعدد دلالاتها، وما تميزت بها من خصائص تبعاً للبيئة التي تضم هذه اللهجة، فهي مختلفة من بيئة إلى أخرى.

ويقول فندريس:(إنّ كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أنّ اللهجات لاوجود لها) ولكنه يقول: (إنّ من حقنا أنْ نتكلم على وجود لهجات كما رأينا عدداً كبيراً من الخطوط التي تفصل بين الخصائص ينطبق بعضها على بعض ولو بشكل تقريبي، فهناك لهجة محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة)) حتى عندما لا يمكن رسم خطوط ببعض السمات التي لا توجد في الأخرى ( ).

أما عبد الوهاب حمودة فقد عرفها بأنها (يراد بها الألفاظ التي تدلّ على المعاني من أسماء وأفعال وحروف ويراد بها النحو، وهو طريق تأليف الكلمات واعرابها للدلالة على المقصود، وكذا يراد بها كل ما يتعلق باشتقاق الكلمات وتوليدها وبنية الكلمات ونسجها)( ).

وقد أنكر أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (ت1170هـ) شيخ الزبيدي صاحب التاج أنها تدل على اللغة، قال (من الغرائب أنّ بعضَ أهل اللغة فسّر اللسان هنا باللغة دون الجارحة، والصواب أنّ المراد باللسان الجارحة، كما هو المشهور) ووقع في المصباح اللهجة اللسان وقيل طَرَفُه( )، وردّ الزبيدي استغراب شيخه بقوله: فلان فصيح اللهْجَةَ واللهَجَة وهي لغته التي جبل عليها واعتادها وبهذا ظهر في انكار شيخنا على من فسرها باللغة لا الجارحة وجعله من الغرائب قصور ظاهر( ).

وبصدد هذا الخلاف يمكن أن نحدد العلاقة ما بين اللغة واللهجة، فهما محور التفاهم ما بين الأجناس البشرية.

فذكر الدكتور هاشم الطعان:(متى كثرت هذه الصفات بعدت اللهجة عن أخواتها فتصبح لغة قائمة بذاتها، فكما أنّ اللغة تتشعب إلى لهجات ، كذلك اللهجة قد تستقل وتتسِع وتثبت أقدامها حتى تصير لغة)( ).

إذن هناك فرق بين اللغة واللهجة ، فانّ ماييه يقول:(اللغة نضم وحدات لها خصائصها يميزها من يتكلمونها وهذه الوحدات هي ما يسمى باللهجات، ففكرة اللهجة غامضة كما نرى)( ).

ووضع ابن جني أربعة معايير بتحديد اللفظة أنها لهجة:-

1- أنْ يردَّ نص (لهجة) وإنْ وجد ما يدلّ على أنها كانت في الأصل إبدالاً. مثل قول العرب (بحثر ما في القبور) أي: بعثر، وهذا إبدال في الأصل إلا أنّه ملتزم عند هذيل فهي لهجة وإنْ كانت في الأصل إبدال ( ).

2- أنْ ينصَّ على أنّها لهجة فينفي احتمال غيرها( ).

3- أنْ يكونَ ما ظاهره الإبدال في أقوام مختلفين مثل (قشطت، كشطت)، قال الفراء:(قريش تقول كشطت وقيس وتميم تقول قشطت بالقاف وليس القاف في هذا إبدلاً من الكاف لأنّها لغتان لأقوام مختلفين) ( ).

4- أن تكثرَ الألفاظ على المعنى الواحد( ).

وفيما يكون لهجة وما لا يكون هو الإبدال سواء أكانت اللهجة منسوبة أم غير منسوبة، لفظة بحرف غيره فغيرها والمعنى واحد، وأن لم يكن بينهما ما يستدعي الإبدال ذكرنا قول فندريس بأن:(التغيرات الصوتية تقع على ما يبدو بطريقة آلية مستقلة عن إرادة المتكلم بل من غير شعور منه، ولكنها أيضاً تقع باطراد محدود من المبدأ وتنوع محير في نتائجه)( ).

أما الفرق بين اللهجات فهي أقل شأناً، فبالنسبة إلى اللهجات العربية تنحصر إلى الفروق في مفردات قليلة تكون هذه المجموعة أو تلك قد اكتسبتها من هذه اللغة أو تلك بمعزل عن المجاميع الأخرى، وهي لغاتها تلتقط التقاطاً ثم لا تتجاوز هذه الاختلافات في بعض الحركات أو في مقدارها، أو في الإعلال والإبدال أو القلب المكاني أو جموع التكسير وفي ملا يبعد كثيراً عن هذا ( ).

وبذلك انشطرت اللهجة إلى قسمين:(مشتركة وخاصة)

– لهجات اللغة المشتركة:–

(اللغة المشتركة هي المتداولة في شبه الجزيرة العربية فهي لغة جميع القبائل التي كان يتكلم بها الخطيب، والشاعر، وهي وسيلة للتعبير عما في داخل الإنسان، ووسيلة التفاهم).

وبذلك يحدد الدكتور أحمد نصيف الجنابي عواملَ مختلفة حملت أهل هذه اللهجات على التقارب والاختلاط، فأدّى ذلك إلى نشأة اللغة المشتركة التي يتفاهم بها الناس جميعاً وإنْ انتموا إلى قبائل مختلفة( ).

فما هي تلك الأسباب التي ساعدت على نشأة اللغة المشتركة في الجزيرة العربية؟

لقد نشأت اللغة العربية المشتركة في مكة لظروف دينية واقتصادية لأن أرض مكة مقدسةٌ منذ عهد ما قبل الإسلام وبيئتها اقتصادية، فأهل مكة كانوا تجاراً ينتقلون بتجارتهم في أماكن مختلفة ويرتحلون بها إلى اليمن في الشتاء والى الشام في الصيف وهذا له أهمية في تكوين اللغة المشتركة( ).

أما فندريس فقد عرفها بقوله:(تقوم اللغات المشتركة دائماً، على أساس لغة موجودة، حيث تتخذ هذه اللغة الموجودة، لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفي التكلم) ( ).

وقسم العلماء العرب وغيرهم اللهجات العربية على قسمين:-

كتلة شرقية:- تميم، وأسد، قيس، وبكر.

وكتلة غربية: حجازية، هذيل، طيء. ( )

إلا أنّ الإنسان الذي كان يعيش في شرق الجزيرة العربية وغربها هو إنسان واحد، وهو الإنسان العربي ودراسة اللهجات على مستوى الظواهر اللهجية بين القبائل منهج يؤمن بالأخذ والعطاء والتأثر والتأثير بين القبائل.

ومن كلِّ ما تقدم يمكن أنْ نجمع الصورة القريبة إلى الصواب ، والواقع اللغوي يعزز ذلك بشواهد، إذ أنّ لهجات القبائل العربية كانت حقيقة قائمة أملتها قوانين تكون اللهجات ونستطيع أنْ نجد آثار هذه اللهجات واضحة في المعاجم الأندلسية.

ويقول الدكتور(أحمد علم الدين الجندي): (إنّ الغرب الإسلامي كان لا يطعن في اللهجات بل يرويها وينقلها كما هو الحال في (المخصص، والمحكم، والبارع..) تلك التي تمثل لهجات عربية، وطريقها طريق النقل والأثر لا القياس والنظر) ( ).

وأنّ عوامل التفاعل بين هذه اللهجات تعمل عملها وهي تأخذ اللهجات المتفرعة عنها وتعطيها فأستمر تجمع الخصائص وسمات لهجية منها:-

((سمات اللهجات العربية))

الميل إلى الضم:-

جنحت بعض اللهجات إلى الضم وعلل المحدثون الميل إلى الضم بأنه يمثل بيئة البداوة التي تحرص على الخشونة كما أنّ الضمة تحتاج إلى جهد عضلي أكثر من غيرها لأنّها تتكون بتحريك أقصى اللسان( ).

- جنحت لهجة أسد الميل إلى الضم، قال الأصمعي:- تقول العرب: (مات فلان مِيتة سوء) بكسر الميم، أما أسد فتقول(أخذته المُوتة) بضم الميم وهي غمرة تأخذ الإنسان حتى يغشى عليه( ) ، ويقال: (وقع في المال المُوْتان) بضم الميم والواو ساكنة في لغة تميم معناه وقع فيها الموت( ).

- عزيت(قثُّاً) بضم أوله لبني أسد، والصواب (قِثَّاء) والواحدة قِثاءة( ). قال أبو علي: قرأ يحيى بن وثاب( ) ((مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا))( ).

- قال اللحياني(أكَف البغل) لغة بني تميم بالفتح (وأوكُفه) بالضم لغة أهل الحجاز( ).

- وأهل الحجاز يكسرون الميم في(مِرية) بينما تقول أسد (مُرية) بالضم( ).

- ويذكر (وُلْدكِ من دمَّى عقبيك) فاستعمل بنو أسد(وُلداً) بدلاً من (وَلَدَ) ( ).

- وأهل البصرة يقولون (الدُئِل) بضم الدال وكسر الهمزة ويقولون، (أبو الأسود الدُّئِلي)، وقيس والأزد يقولون:(أبو الأسود الدَّيلُ) ( ).

- ونقل ابن السكيت عن الفراء أنه قال(رفِقة ورفُقْة) لغة قيس وتميم وبالضم لتميم، وبالكسر لقيس( ).

- وذكر ابن سيده في باب (فِعْل وفُعْل باتفاق المعنى) يقال:-(عَائط وعَوُط) إذا اعتاط رحمُ الناقة أعواماً فلم تحمل وهنا ميل إلى الضم بلهجة أسد( ).

- وجاء في لحن العامة زعم بعض اللغويين أنّ أهل اليمن يقولون (كُلوة) بالضم وذلك مردود، والأصل (كلية) ( ).

- الميل إلي الفتح:-

تُعَّدُ الفتحة أخفَّ الحركات وأيسرها على جهاز النطق ولذلك فالميل إليها يُعَّدُ طلباً للتخفيف من الجهد العضلي المبذول وقد وردت ألفاظ نحت فيها لهجة أسد الفتح( ).

- قال الخليل (الدَغْر) فتح الدال وسكون الغين الاقتحام من غير تثبت، ويقال: (دغروا في الحملة، وفي الحديث:(ليس في الدْغرَةِ قطع) ( )، (والدغر) لغة للأزد وهي لعبة لصبيانهم، بالفتح، وبعض العرب تقول(دُغر) بالضم( ).

- وذكر ابن مالك(النَهَامُ) جمع نهِم وبمَعْنَى نِهاميَّ وهو النجار بالفتح بلغة أهل اليمن، وورد في أقوال بعض العرب الضم( ).

- قال الأصمعي(الزَهو) بالفتح لغة أهل الحجاز، والزُهو بالضم إذا سارت الإبل بعد الورد ليلة وأكثر من ذلك في طلب المرعى ولم ترْعَ حول الماء، وقيل زهت تزهو وزهوتها أنا بغير ألف والزهو السوق منكَ لها ( ).

- العشَانة (الكَرَبّةُ) بلغة عمان وتعشن الرجل النخلة وروبت بالفتح بلغة عمان( ).

- (القَبَابة) بالفتح بلغة حمير، وهي المفازة، وقال الخليل قباء معروفة وثلاثة أقبية وقد تقبى الرجل اذا لَبِسَ قَبْاءَ( ).

- (السّدوس) الطيلسان بالفتح لبني شيبان وطيء وروى بعضهم بالضم والفتح( ).

- وقال يعقوب، قال أبو عبيدة، بنو تميم من أهل نجد يقولون نَهْي بفتح النون لغدير وغيرهم يقولون بكسر النون( ).

- الميل إلى الكسر:-

ذهب المحدثون إلى أنّ الكسر ينسجم مع حياة التحضر ويدلّ على الرقة في معضم البيئات اللغوية وأنّ الضم ينسجم مع حياة البداوة التي تؤثر الخشونة( )، فمن ذلك:-

- ماروى عن ابن السكيت عن أبي زيد أنّه ذكر الكلابيون يقولون: (شواظِ من نار) ( ) بالكسر وغيرهم يقول شُواظ بالضم( ).

- قال الخليل (الجِصّ) بكسر الجيم ، وهو كلام العجم، ولغة أهل الحجاز في الجصّ القصّ، والجصّاصات المواضع التي يعمل فيها الجصّ ومكان جصاجص أي: أبيض مستو، وروى عن غيرهم بالفتح و بالكسر لهجة جعدة( ).

- (الصَّرْعُ) بالفتح لغة قيس، مَصدَرُ صَرَعْتُ الرجلَ، وصَرْعا الدَّهْر الليلُ والنهارُ، (الصِّرْعُ) بالكسر لغةٌ في الصَّرْعِ الذي هو مصدر صَرَعْتُ وهي لغة تميم( ).

- وأثر عن أسد أنّها تقول (الحِج) بكسر الحاء ومال أهل الحجاز إلى الفتح( ).

- قال أبو حاتم العامة يقولون (الشِجَر) بكسر الشين وهو لغة ، والجيد الفتح

كما يقرأ في القرآن((وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)) ( ) بفتح الشين وسكون الجيم لغة الكلابيين( ).

- ذكر يونس أنّ أهل الحجاز يقولون:(عَرِضَ) بكسر الراء، يقولون (قد عَرِض لفلانٍ شَرٌ) بالكسر مثال عَلِم و(عَرَضَ) بفتح الراء على مثال ضَرَبَ لغة تميم ( ).

- (الهِيْس) بكسر الهاء هي أداة الفدان بلغة أهل عمان، ويقال: هيس في الغارة إذا استبيحت قرية أو قبيلة فاستؤصلت (هِيْس هسِيْس) معناه لم يبق منها أحد، وروي بالفتح وسكون الياء عن قبيلة أسد( ).

- (الرِعَّلُ) بكسر الراء أول الجبل حكى ذلك أبو عمر المطرز و(رِعْل) حي من أحياء العرب من بني سليم( ) قال النابغة:-

لَعَمْرِي لنعمَ الحَّيَ نُبِّئْتُ صَبَّحُوا ميما بِجَنْبِ الرَّدْم حي بنِي رِعْلِ( )

- قال أبي العامرية النميري : يقال (مَغدِ الرجل) عيش ناعم يمغدَه، بكسر الغين في الماضي وفتحها في المستقبل والمصدر إذا غذاه عيش ناعم بلهجة نمير( ).

((المعاقبة))

لجأت بعض اللهجات إلى استعمال الصيغ الواوية بدلاً من الصيغ اليائية وذلك يعود إلى طبيعة كلا الصوتين فكلاهما من أصوات اللين الضيقة ويشيعان في الاستعمال فصارا عرضة للتطور أكثر من غيرهما ولذا كانت الصيغ الواوية هي الأصلية أما التي وردت بالياء فهي متطورة عنها( ).

وفي لغتنا العربية: بل وفي اللغات السامية نجد كثيراً من تعاقب الواو مع الياء وتعاقب الضمة والكسرة( ).

– وجاء في المخصص(أنّ المعاقبةَ هي لغة لأهل الحجاز) لذلك عرفت بالمعاقبة الحجازية حيث نحت لهجة الحجاز إلى الياء في بعض الألفاظ مثال ذلك:–

– (المياثر والمواثر) و(المواثق والمياثق) ( ).

– وهناك ألفاظ وردت ياء مرة وبالواو مرة أخرى من ذلك ما ذكره ابن السكيت: (يقول أهل العالية: القصوى وأهل نجد يقولون: القصْيا)( ).

– (التوه، التيه) قال الكلابيون (القيتني في التُوه) بضم التاء يريد التيه، والتيه مثل المضلة من الأرضين( ).

- وبنو أسد (ما إعوج بكلامه) أي ما التفت إليه، ويقول غيرهم (ما أعيج بكلامه) أي: ما أعبأبه( ).

- كما ورد التعاقب في التثنية ومن ذلك (نسيان، نسوان) و(رحوان ورحيان)( ).

- (هدية هداوى) وهو الإهداء أنْ تهديَ إلى إنسان شعرا في مديح أو هجاء أو غيره (وهداوي) لغة أهل المدينة( ).

- وفي لغة أهل الحجاز(فلان يخوص العطاء في بني فلان)، أي: يقلله، فكأن خيصاً شيء يسير، ثم بالغ بقوله خائصاً. إذ هو من قولهم: (هو يخوص العطاء) فقال: هو على المعاقبة، وهي لغة أهل الحجاز( ).

- وروى الطبري عن بني أسد أنّهم يقولون: (صغيتُ إلى حديثه فأنا أصغي صغياً) وغيرهم يقول:(صغوتُ أصغو صغواً)( ).

- (ما أحولَه وأحيلَه) إذا كان محتالا، قال أبو علي: أصل هذه الكلمة الواو لأنه من التحول، وأما الحيلة فإنما انقلبت الواو فيها للكسرة فأما قولهم هو أحول منك وأحيْل معاقبة، كقولهم: (صواغ وصياغ) لغة أهل الحجاز( ).

- وجنحت لهجة أسد الى الصيغ اليائية فقد أثر عن بني أسد أنهم يقولون في مضارع(وجل) (ييجل) وفي مضارع وجَع (ييجع) بدلاً من يَوْجل ويَوْجع( ).

- قال ابن السكيت(عزيته إلى أبيه) نسبته إليه أشد العزي، وبنو أسد يقولون:(عزوته إلى أبيه) ( ).

- وأهل العالية من نجد يقولون مضيت على الأمر مضياً وهذا أمر ممضو عليه(مضى، مضوّاً) ( ).

وأغلب الظن أنّ الصيغ التي وردت بالياء في لهجة أسد جاءت نتيجة تطور صوتي جنحت إليه متأثرة بالحياة الحضرية التي جاورتها في الحجاز( ).

وليس هذا يعني أن جميع هذه القبائل بنسبة واحدة إلى الإمالة فهناك إمالة خفيفة قريبة من الفتح مثل:-

- (عنكبوت وعنكباء) وهي : دويبه تنسج ما بين الهواء وهي لغة لأهل اليمن( ).